قــوّة تحلّــقْ

تـأليفْ :

عبد الرحمن فكـاي

المُقدّمَــة

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و صحبه و من والاه

أمّا بعدْ :

إن كل ما نحتاج له في هذه الحياة هو أن نعرف كيف نحارب فيها لنظفر بالنصر ، قد تكون طريقة قتالك متضمنة تحت طريقة تفكيرك و معرفة عدوك ، و لطالما إفتقدنا معرفة عدونا جيدا ، و عزفنا عن شحذ تفكيرنا كما نشحذ سيوفنا ، لدى كتبت هذه الوريقات لعلها تشحذ بعضا من سيوف تفكيرك و تعرفك على عدو جديد ، كتبت كلماتي لأرشدك كيف تحارب وهمك و تعيش واقعك ، و كما لا يخفى عل أي عاقل أن كلامي يحتمل الخطأ كأي بشر ، لذلك إعتبر إكتشافك له شحذ لسيف فكرك أيضا .

أتمنى لك رحلة ممتعة بين أحرفي

أزِقّةُ الوّهْـــــمْ

حين تنتصر أمام الكثير من الأشياء حولك

عليك أن تعلم أن محاربة الوهم أولى و أعتى !

كل الطرق تؤدي إلى الجحيم

ستدرك يوما أن كل الخراب الذي حولك

لم يكن ليصيبك .. لو أنك لم تكن خربا مثله !

الحياة إسم حيادي بأصله ، أو بالأحرى هو إسم مجرد من كلّ حسّ ، إنها تداول أحداث و موتها ، و قيام أحداثٍ جديدة على أنقاضِ أخرى ، لمْ تكن الحياة تعني الجمال أو القبح أو أيّ شيء من هذا القبيل ، لمْ تكن كلمة [الحياة] مجرد إيحاء يلمّح لشيءٍ إيجابي أو سلبي ، إن تلك الكلمة تعنِي لنا ما نحمله نحن في صدورنا !

لعل الكثير يهتم بوسائل الراحة و الرفاهية ، أو يلهث خلفها لتستنزف طاقته ، و يتخلى في الأخير عن ركضه الممل و يقع في بركة اليأس ، و لا يعلم أن ركضه خلفها و سعيهُ لها هو أمر لا إنقطاع له إن كان لا يحمل الراحة و الرفاهية في جوفه الخرب ، فكل الأشياء تنجذب لما يشبهها في هذا العالم ، فالراحة و السعادة لم تكن لتحفنا لو لم نكن نحملها في أحشائنا ، لو لم نتغنى بها ، لم تكن لتتجلى أمامنا لو لم نكن نريدها حقا ، **لو لم نكن نحن السعادة** ، فتجلي الأمور حولنا حياديّ أيضا ، إننا نحكّمُ ذواتنا على كل ما يحصل حولنا ، دون التساؤل و لو للحظة عن إمكانية تعسفنا أو دكتاتوريتنا إزاء كل أحكامنا .

إن الذي يحمل في قلبه ثقة بالله ، و إيمانا بحكمته ، لا يمكن إلا أن يكون قلبه مزهراً ، تنفتح الأغلال و السلاسل عن كل طاقته الروحية ، إنه يحلق بروحه أينما كان ، و أينما يكون ، إنه يعلم جيدا أن كل ما يحفه يحاك لصالحه ، ليس تغافلا منه و حماقة ، بقدر ما هي حسن ظنه بربه ، إن الروح المحلقة لا تلتفت لتحكم على الأشخاص حولها ، فهي

تدرك أن وظيفتها هي الحكم على مجريات حياتها بطريقة إيجابية تشجع على المزيد ، دون الإلتفات لما يُضلّلها عن النظر بثباتٍ نحو هدفها .

بالنظر للجانب الآخر ، فإنك ستجد الكثير يتفنن بوصف الحياة بأبشع الصفات ، ليستقر وصفهم في الأخير على كلمة [الجحيم] . أعتقد أن العالم لا يحتاج لمزيد من التطور و توفير سبل الراحة و ما شابه بقدر ، بقدر ما يحتاج إلى تطوير ذوات البشر ، و إيصالها لمستوى من الإدراك من شأنه أن يجعل من تطورات العالم المادية أسرع مما هي عليه ، و أجمل مما يرونها عليه ، لأنه لا فائدة من كل هذه الوسائل إن كانت الحياة في نظرهم مجرد جحيم لن يزداد إلا إتقادا و إحتراقا .

لا يجب الإنكار أن إختلاف البشر هو أصل تجانسهم و تكاملهم مع بعضهم البعض ، لكن الإختلاف يجب أن يتغير منحاه بتغير منحى التطور المادي الذي يشهده العالم ، أي أن الإختلاف يتمحور بين تفاوت مستوى الإدراك بين البشر ، و ليس بين وجوده و إنعدامه . إنعدام الإدراك هو ما يجعل العالم يرى الحياة جحيما ، إنه يعتبر الإختيارات التي أمامه أزقة و طرقا ، و يكرر دائما بشاؤم : كل الطرق تؤدي إلى الجحيم !

لطالما كانت الكلمات المتشائمة واقعية للوهلة الأولى ، صحيحة لدرجة اليقين ، و فاتحة أعيننا لآفاق الجحيم الذي يراه الكثير ، لكنها لم تكن سوى نظرة لعالم وهمي لا حقيقة لوجوده ، لم تكن سوى كلمات كنا نريد تصديقها للتهرب أو لأي شيء آخر ما عدا المواجهة . لم نكن لنصدق هذا الوهم لو كنا نملك إدراكا يقظا ، و تفكيرا سليما يحيلنا إلى ما هو أجمل دائما ، أو على الأقل صدقا مع النفس يجعله يعترف بجميل النعم التي هو غالبا مهمل لها ، فلا أحد بإمكانه التحكم في وضعه مهما إدّعى ذلك ، لكنه يملك التحكم في نظرته للأمر بعيدا عن دهاليز الوهم ، عندها لن يكرر كلمة [الجحيم] في حياته !

إخمَـادُ الضجيجْ

إن الضجيج الذي يتغشى هذا العالم لا نهاية ، ترتبط لا نهايته بنهاية الحياة ، أي أننا مجبرين على التأقلم معه كأيّ ظرف من ظروف الحياة ، و لطالما نجح الكثير في التأقلم دون صعوبة تذكر ، إلا أن الضجيج الذي يأرقّ الكثير ، و يعتبرونه أحجية لا حلّ لها هي الضجيج الذي يلهب أحشاءهم ، نعم إنه الضجيج الداخلي .

حين تخرج للعالم ، سترى آلاف التأففات في اليوم ، معظم المارة إن لم أقل كلهم عابس ، حتى المجانين صاروا عبوسي الوجه ، أعين تحمل بريقا يفضح حزنها ، لا تتهم سواد الحياة أو ظلم سكانها ، بل إتهم هؤلاء العابسين في وجهها ، لأنهم كانوا سببا في كل ذلك ، إنهم يحاربون أنفسهم ، لأنهم و بكل بساطة فارغون من الداخل ، إنهم كأكياس تتقاذفها الرياح لأنها فارغة تماما ، لعلنا في بعض الأحيان نسعى لنكون كذلك بإعتبار فراغنا أسلوبا للمقاومة ، و هنا عليك أن تطرح لنفسك سؤالا : **هل من الخطأ أن تكون إنسانا فارغا ؟**

تكون فارغا حين لا تستطيع التعبير عن مشاعرك بتوازن دقيق ، و تكبت كل ما تشعر به بدكتاتورية مفرطة .

تكون فارغا حين تبدأ يومك بعبوس ، تتخلله تأففات غير قابلة للعد ، و ينتهي بحزن ليليّ مفرط ، و السبب ؟ لا شيء يذكر !

تكون فارغا حين تكرر على مسمع كل شيء أنه تافه ، أن تتمتم لكل نكتة أنها تافهة متناسيا أن المنكّت يفعل ذلك طمعا في بسمتك لأنه يحبها .

تكون فارغا حين تشعر بالخوف و الإضطراب المفاجئ ، حين تتوارى عن أنظار العالم لتخلد لنفسك .

تكون فارغا حين تسعى لأن تكون صخرة لا تلين ، و ماءً لا يقسم بسكين ، نارٌ لا تنطفئ ، و سحابة لا تمطر .

تكون فارغا حين تسعى لملامسة الحد الذي لا يمكن بلوغه بمقتضى الآدمية ، تقود نفسك بكل قسوة و دونية ساخرة .

إن الفراغ الداخلي ليس إلا ضعفا ، لأنه في حقيقة الأمر ليس فراغا ، بل تراكم هائل لكل ما يدمرك ، إنه ينهش رأسك في كل لحظة هدوء ، ليضرم نار الضجيج في رأسك ، فالفراغ الداخلي يعود لخوائك و تبرئك من إنسانيتك و عفويتك و سماحتك ، و تقمصك لسوداويتك و تشاؤمك و وحشيتك ، لتدرك يوما أن المسميات تعاكس معناها في كثير من الأحيان ، فالفراغ الذي تنشده مؤلم حد الهلاك .

إن إخمادك لضجيجك يحتاج لتفطنك لخطئك ، و هو تقمصك لوهم سوداويتك التي تعتبرها قوة ، و تخليك عن رداء إنسانيتك الذي تعتبره ضعفا ، صرت ترى السوداوية سيفا و الإنسانية علم أبيض ، و لا تعلم أن كل ما تراه من نسج وهمك الذي لا تدركه . الإعتراف بالإنهزام طريق نحو النصر ، كما أن الإعتراف بالخطأ سبيل لتصحيحه ، أي أنك تحتاج للتخلي عن قيمك الوهمية تلك لتخمدَ ضجيجك !

عبـادة الوهم

إن الإنسان يبحث دائما عن قبول أكبر عدد من الناس له ، بحكم حبه للشعور بالحب تجاهه ، و ذلك نتيجة لطينته الآدمية التي لا يمكنه التنكر لها ، و بما أنه يبحث عن القبول فلا بد له أيضا خلق تقبل في نفسه لرفض الآخرين له ، بإعتبار كل ذلك جزءًا من الحياة و إختلافاتها ، فعلى مر الزمن لمْ يكن البشر يبحثون في الحقيقة إلا عن الشعور بالإنتماء ، و هنا يكمن اعنصر البناء و التدمير !

لعل الكثير لا يتقبل فكرة رفضه ، إنه يسعى دائما لتنزيه نفسه و التغاضي عن رأي الآخر ، أو إحتقار نفسه و عبادة رأي الآخر ، و بين هذا و ذاك فارق شاسع ، بين من توغل في سذاجته ، و من إعترف بعبوديته و صار مقلدا ، و في كلا الحالتين سيكون عابداً في صومعة الوهمْ . لأنه أمام خيار عبادة وهم من نسجه أو من نسج غيره .

إن عبادة الوهم ليست إلا سببا للسقوط الطويل في هاوية الأخطاء و الحماقات التي يكون الإنسان في غنا عنها ، كما أنها ليست إلا عائقا نحو تطوّر تفكير الشخص و ضموره،إضافة إلى كونها سببا في فقدان صدقه مع ذاته ، و بالتالي فقدان صلته بذاته و رابطته التي تجمعه بها ، و الذي يؤدي عادة لبؤس أشد من حزن الرفض أو ألم المواجهة .

بعد تدقيق بسيط في طريقة تعاملنا مع ذواتنا ، لم يكن يتطلب الأمر إلا عقلانية و وسطية في كل تفكيرنا ، فاتهام النفس دون مغالاة حلٌ وسطٌ ، بَدَلَ تنزيهها الذي لن يزيدها إلا عتواً وَ سذاجة ! كما أن تشغيل فكرك و إكتشاف الصحة من الخطأ في كلام الغير حلٌ وسطٌ ، بدل العبادة العمياء و اللهث نحو إرضائهم ! أتفهم جيدا أن خوف الكثير من فقدان انتمائهم ، جعلهم يختارون بعبثية أحد الحلين (عبادة الوهم) الذي يكون

أسهل و أقرب لكل شخص ، لأن عبادة الوهم ليس إلا هرب من حربك ظنا منك أنك بهذا تنتصرْ.

مسَلَّمٌ هو أن لكل شيء نهاية ، إذن فلا بد لعبادة وهمك أن تنتهي يوما ، ستأتي اللحظة التي تحتاج فيها للتخلي عن وهمك و تكفر به ، و ستجد أن أمورك قد ازدادت تأزما ، عندها لن يجدي بحثك عن حلٍ شيئا لِأنك ببساطة : تقاتل **اللاشيء !** تقاتل أفكارك التي تراها واقعا و جعلتها تختلط بأوهامك ، لأن الوهم بمجرد الإعتياد عليه سيصبح واقعا بالنسبة لك ، و هنا هل ستقضي على كل أفكارك بما فيها الوهم الذي لا تستطيع تمييزه ؟ أم تستسلم له مرة أخرى ليلقي بك أين يشاء ؟ عندها سأخبرك أنك صنعت منظومة تقاتل ضدك .

لتتخلص من وهمك عليك بعد التوكل على الله و دعائه أن تبحث عما يجعلك تميزه عن غيره ، أن تستعيد نظرتك المحايدة التي تفرق بين الواقع و الوهم ، أن تعرف الأفكار التي تبنيتها بتقليد أعمى ، و بما أن كل منا يبني قناعاته و أفكاره بتجربته و تفكيره الشخصي ، فما عليك إلا أن تعيد التثبت من كل ما يدور في مضمار تفكيرك ، و كل ما ليس له دعامة من الأفكار أو التجارب إقصه دون رحمة . لا يخفى عليك أنك قد تقصي مالا يمدّ للوهم بصلة ، لكنه أفضل بكثير من لإقصائك لكل أفكارك ، أو الإستسلام لها و تركها تهيم بك في مراعيها القاحلة !

عزيزي القارئ .. قد لا تروق لك الطريقة التي اقترحتها لك في التخلص من وهمك ، لكنها أفضل من الانتظار بخوف أو الاستسلام بجبن ، و كما أقول دائما : لك الاختيار |!

تنبيه : خوفك بلا فائدة ، وحده تحررك من وهمك هو نصرك !

تخبّطَاتُ فِكْـر

إن الإنسان لا يكتسب القسوة من غيره

بقدر ما يكتسبها من سوء أفعاله !

الحاجز الأخير

حديثك عن الموت لا يعني سوداويتك ، حديثك عن الخسارة لا يعني إنهزاميتك ، كلامك عن النصر لا يعبر عن قوتك ، لأن هذا النوع من الحديث ما إلا هو قفزة دون نفسك نحو الأمام ، إنها تحدد موقعك في مضمار السباق ، تجلّي أفضليتك في موقع جيشك ، التفكير بعيد المدى يعفيك عن آلاف التجارب الخاطئة ، يحميك من آلاف النهشات الحادة ، يبعدك عن الهزائم الفادحة ، إنه ورقتك الرابحة في هذه الحياة ، نعم ، إنه الجوكر الذي يحمله القليل و ينقذهم كثيرا ، ليس بالضرورة أن يكون القلة التي أتحدث عنهم تلك الفئة الناجحة في عملها ، أو دراستها ، أو في رياضة ما كما يفكر البعض ، قد يكون بيدقا لسبب ما ، لكنه سيقضى عليه قريبا !

التعرف على نهاية الأشياء قبل الخوض فيها يحتاج إنغماسا كبيرا في كل التجارب التي تحفك ، دون أن تطلب رأي الشخص الذي يخوض التجربة ، الإنغماس يحتاج ملاحظة دقيقة ، أبسط التفاصيل هي أعمقها عادةً ، و المجريات قد تكون تمويها عن ما تبحث عنه بسبب تعقيدها الفارغ ، فالأشياء عكس ما تبدو عليه إلا نادرا ، نهاية الخيط هي مايجب أن تبحث عنه ، أي أنه هدفك الذي عليك بلوغه ، لذا ركّز جيدا على هدفك كي لا يذهب جهدك سدى ، فالنهاية التي تسعى لها أوضح من أن ترى و أعمق من أن تلمس !

لطالما كان التدقيق في نهاية الشيء هي أصل فعله من تركه ، و لبّ حبه من كرهه ، **فما فائدة الشيء إن كان من وراء إمتاعه لنا مضرة ؟** لعلك لم تسأل نفسك قط هذا السؤال الذي من شأنه قلب حياتك لعالم آخر ، سيشعرك هذا السؤال أنك تائه جدا ، و الأدهى من ذلك أنكَ مسكينٌ لا يعلم أنه تائه ! كل ما يغير حياتك ينتظرك في سؤال ، و خيار تجاهله من عدمه يعود لك !|

إن المصير هو ملخصٌ موجز لِكل أعمالنا ، فهو يهمل كل التفاصيل الطويلة ، يتجاوزها بسرعة و دون النظر لها أو التدقيق فيها ، كثيرا ما يكون المصير مؤلما لطيشنا و تسرعنا ، لطالما تملكنا الندم على لحظات ضائعة ، و دقائق تهنا في أعماقها دون أن ندرك أو نفكر : أيّ مصيرٍ ينتظرنا إن واصلنا في هذا الطريق ؟ يعتقد البعض أن المصير شيء يظهر فجأة و لا علاقة له به ، و لا يعلم أن تتبع آثار خطواتنا توصلنا إليه و تثبت علاقتنا به ، بل إنني أقول و دون مبالغة أن المصير و الحقيقة وجهان لعملة واحدة ، و أبرز ما يجلّي ذلك هو تهرّب الكثير من تقبلهما .

عند وصولك لأقصى ما يُمكن في طريقك ، عند وصولك للحاجز الأخير ، لطريقٍ لطالما كانت مبسوطة الأطراف ، ستتوقف طوعا أو كرها ، عندها سَتعرف أي خطة حكتها ، ستدرك إن كانت خطتك لك أو عليك .

إن المصير هو أقرب للتشبيه من الحاجز الذي يعلن إنسداد الطريق و نهايته ، نعم ، إنه الحاجز الأخير ، إنه الحاجز الذي لا يجب أن يعترضك في حياتك ، لأنه و بكل بساطة دليل على أن طريقك الذي تسلكه خاطئ ، لا أطالبك أن لا تخطئ ، فهو فطرة في بني آدم ، لكن وصولك للحاجز دليل على إصرارك على خطئك و إلحاحك ، و هو ما أدى بك للاصطدام به معترضا مسيرك ، لكن لا بأسْ ، كل ما عليك أن تعترف بخطئك و تصححه بكل بساطة ، و اعلمْ أنك تعرفت على طريقٍ عليك إجتنابه ، تذكره جيدا و كن حذرا منه مستقبلا .

النسيَـان

يناضل البشر في هذا العالم من أجل البقاء ، لطالما عانوا من أمراضٍ عضال و شفيت ، كدماتٍ إختفت ، حروق إلتئمت ، لكن الأغلبية لا زالت تلهث حقا ، لازالت تعاني من أمراض لا دواء لها ، حتى الطبيب لم يجد ترياقا لنفسه ، يبحث الجميع عن شيء يقضي على مرضه ، و لعل درويش تفطن لِـذلك ، فترنح بكلماته ليصل إلى عمق الداء ببراعة ، حيث قالَ مواسيًا لهمْ :

تُنسَى، كأنك لم تكن ..

لعل البعض يقرأ تلك القصيدة الشعرية مواسيا نفسه ، على فقيد يعتقد أنه لن يعود ، ميت يرثيه بها ، مغترب متصبرا على تأخر عودته ، على خيبة أصابته في مقتل . أعتقد أنها تصبّرٌ من نوعٍ راقٍ ، يبرز كيف أن النسيان حتمي جدا ، فلا بد لكل الذكريات السيئة أن تندثر ، و لا بد لكل ميتٍ أن يُنسَى يوما ما ، و لعل البعض يكرهها لأنها تثير حقيقة تخيفه ، و لا يريد تقبلها ، فحب الوهم حماقة واضحة .

النسيان أمر فطرَ عليه البشر ، قد تكون الذكريات راسخة و تنهش رأسك كل يوم ، قد يكون فقيدك حيا فيك و تصرّ على تذكره ، رغم أن ذلك يقودك لدمار لن يتحمله غيرك ، لكن الأدهى من كل شيء أن البشر سينسون كل ذلك بمرور الوقت فقط . لطالما تواجد من يريد إختصار الطريق و تقليص الوقت لينسى مأساته التي يخفيها ، فلم يقم إلا بقتلها ، لم تقم بجريمة كما يظن أي قارئ ، بل قتل الإحساس بالشعور الذي تحدثه الذكرى فيه ، فتخلّص منها ، لأن النسيان في الحقيقة ، ما هو إلا ضعف الإحساس بالشعور مع الوقت إلى أن يندثر .

استوقفتني هذه القصيدة يوما ما ، فقد قرأتها لمرات عديدة ، و لا أذكر أنها واستني بأي من الأسباب السابقة ، لأنني وجدت سببا آخر ، و هو أنني في تراجيدية الحياة لا سبب يدعوني لأتعلق بأحد ، أو أتمسك بمكان زائل ، أو حتى أؤمن بجماهيريتي في حيز ما ، و **أنني سَـأُنْسَى !**

أعتقد أن مجرد الشعور أنك ستُنسَى ، **شخصاً، ولا نصاً... وتُنسى ،** أمر يستحق التأمل و الوقوف فعلا ، فقد لا نرضى فعلا أن ننسى أولئك من أحببناهم بصدق ، و نرضى بكل حماقة التألم لأجلهم كل يوم ، لكننا ننزع لذواتنا و نقدسها أكثر من الغير دائما ، و نريد لها الأفضل دائما ، ليس لكوننا وحوشا ، بل لأننا بشر !

لا بد لنا من العودة للوقوف على تلك الكلمات التي تأرقنا ، ليس بسبب خوفنا الزائد ، و لكن لأننا نفكر ، نوقن جيدا أنه لا شيء دائمٌ في هذه الحياة ، لكننا نرتجي أن يكون لتعبنا تخليدا و تقديسا و سموا يشعرنا بأهمية التعب الذي يستنزفنا يوما بعد يوم . إنه لأمر رائع أن يكون إسمك **لمْ يُنسَى** بعد آلاف القرون ، جميل أن تكون شخصا **لا يُنسَى** ، لا يحتاج الأمر إلا عملا نبيلا يخرج العالم من فوضويته التي عليها ، و ينهي معاناته بأي شكل من الأشكال ، يتطلب منك الأمر إلى أن تكون ذو رسالة في حياتك ، أن تفعل أو تمتنع عن الفعل لإيصال رسالة ، أن تحيى بمواقفك و تموت لأجلها . لا أريد القول أنه يكون بإختراع ، أو بمنصب يصحح من خلفه الكثير ... إلغ ،لأنني أدرك جيدا أنه لا حصر للأشكال ، لكن العدد الذي يسعى لذلك صار محصورا ، أي أن الأماكن شاغرة تنتظرك لتنتفض فقط !

إن أفضل الأشكال التي تجعلك شخصا لا ينسَى ، هي ما يوافق و يأيّد ما جاءت به الآية الكريمة في قوله تعالى في سورة طه :{ **قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ**

تُنْسَىٰ } . أي أن الأمر ببساطة أن يكون في شكل يزيدك مرتبة يوم القيامة ، و لا يجعلك منسيا ، فمَـا قيمة الدنيا لو خسرتَ الآخرة ؟

إن أكبر نصر يحصله الإنسان يكون في أن يجعل عمارة دنياه لأجل آخرته ، أن يسعى لأن يخلّد في الدنيا بعمل يخلده في الآخرة ، و يزيده منزلة و نعيما ، يفعل ذلك بإدراكه المصير الحقيقي الذي لا يحيد عنه أي بشر ، لأن النسيان الحقيقي أن تكون ممن صَدُقت فيهم الآية .

إن تلك القصيدة كافية لتطفئ كل شغفنا بأنفسنا ، و توقف تكبرنا الفاسد ، تقضي على وهمنا بكل سطوة ، لتضعنا على السكة الصحيحة ، التي تجعلنا ندرك المعنى الحقيقي للنسيان ، إنها تحيينا في الواقع حين نعتقد لوهلة أننا في منزلة تفوق البشر .

خريطة الحياة

لا يخفى على أي شخص أن أكبر شيء تتحدد به خريطة حياتك هي قراراتك ، إنها تنبني على خيارات كثيرة ، و لعل أكبر ما يجعلك تصطدم مع نفسك دائما ، و ما يجعلك تسبح في تناقضاتك متخبطا ، هو بين الفعل و الإمتناع عنه ، أو بين خيارين متنافيين ،يجذبانك بتباعدهما ، يدهشك هذا التباعد و يقلقك في الوقت نفسه ، يجعلك تتسائل : كيف أمكن للشيء الواحد أن يكون له خياران بهذا البعد العكسي ، من زاوية الصفر إلى المائة و ثمانون درجة .

يعتمد إختيارك عادة على أقرب شيء إلى قلبك ، لعلنا دائما نجد ذواتنا متورعة أو جشعة في إختيارها ، فنلتفت إلى غيرنا لنبحث في أعينهم على إشارة ما ترشدنا للإختيار ، لتدرك في قرارة نفسك أنك أمام قطيع من الوحوش ، ثمل حد الإهتياج ، و لا يبحث إلا على إشباع نزوات نفسه و غريزتها ، التي بملاحظة قليلة منا لأنفسنا ، نجد أن نزواتنا تزداد بقدر إشباعنا لها ، و تتورع بقدر تورعنا في إشباعها ، أي أننا ببساطة المسؤولون عن جشعها أو ورعها .

بصرف نظرك إلى غيرك ، ستجد نزعاتهم ظاهرة على وجوههم ، و تزداد حيرتك أكثر ، قد ترغب في إسعاد من حولك ، أو ترغب في جعلهم فخورين بك ، لعلك أيضا تريد بعض الثناء لنفسك رغم أن هذا يمسّ بإخلاصك لله ، لأن كل قرار تتخذه حبذا أن تجعله سببا لرضى الله تعالى فقط .

ليكون خيارك موفقا ، عليك أن تدرك **: أن عليك أن تفعل ما يجب فعله ، و ليس ما يريده غيرك أو هواك ، و حتى لو لم تلقى استحسان غيرك** . فكل ما يجب فعله عليك إختياره دون الإلتفات لأحد ، و لا حتى لنفسك التي تدعوك للتصرف بجشع ، لأن كل

من حولك سيتفطن يوما لسبب إختيارك في لحظة تأمل ، و يدرك أنك لم ترد إلا مصلحة صار يراها بوضوح ، كما أن أفعالك ستقصي جشعك سائرة نحو تطهير نفسك ، و بذلك لا شيء يدنس نفسك ، و لا ضجيج يعرقلها عن المضي بكل طمأنينة ، كما أنه لا صوت ضمير قد يصمّ أذناك ، كل ما فعلته كان بحيادية بحتة و نبل واضح . لا ينبغى أن تظهر نبلك للعيان جميعهم ، يكفي أنك ترى ذلك ، و ربك سميع بصير عليم ، لذا كن مطمئنا و إمض بثبات .

لعل أكبر ما ينقصنا في إتخاذ قراراتنا هو التفطن لسبب ما نفعله و لعواقبه ، لذا يجب أن تعلم أولا أنه ينبغي أن يكون لكل ما نفعله هدف و رسالة في الوقت نفسه ، لعل هدفنا هو الرسالة ، و لعلنا نحن الرسالة ، و قد نشكل نحن و الهدف جزءًا من الرسالة نفسها . لا بد أن تحمل رسالتك حسّا بالإيمان و التقوى ، أن يكون هدفك مصلحا لتكون الرسالة لكل من يلمحك : **أصلحْ !** و أن تكون صالحا ليتبادر لكل من يراك : **كن صالحا** ، ليجتمع الهدف و أنت في رسالة واحدة ، و تصرخ بصوت ملهم : **كن صالحا و مصلحا !** و ما أجمل أن يكون العالم كذلك ، لتكسب بقراراتك ثواب صلاحك و إصلاحك ، لذا ركّز على الرسالة جيدا فهناك من ينتظر منك إشارة ليلمحها !

سترى نجاحاتك تتوالى عليك ، و نصرك يمتد لأمدٍ طويل ، و تجلّي لك خريطة قراراتك مدينتك الفاضلة ، كما أنك ستحضى ببال منشرح و تجد روحك سكينتها المنشودة ، و بإذن الله ستلقى رضى الله عليك ، فقط : كن مخلصا لله !

عن الذي لا يملك ما يخسره

عن الذي لا يجد ما يخسره ، عن الذي إقترف الكثير ، عن الذي فقدت حياته عفويتها ، عن الذي فقد نفسه في ذلك المنعطف ، عن الذي تتآكل أحشائه ندما كل يوم ، عن الذي لازال يريد لِـ عذرية نقاءه أن تعود ، عن الذي فقد جيشه و لا زال يقاتل ببسالة ، **قَـاتِلْ !**

جميعنا نحارب في هذه الحياة ، نصارع كثيرا ، و ربما نتألمْ ، ليس من الحكمة أن أن تفكر بألمك كثيرا ، لأنك حينها ستفكر بالهرب ليتوقف ، ستكون نظرتك للأمر نظرة حانية على نفسك ، و مدللة لها ، ستزداد خسائرك و أنت متقوقع على نفسك ، ستخفي رأسك في الأرض ليتم قطعه في لحظة إخراجك له ، أي أنك لن تزيد الأمور إلا تأزماً . حبك لذاتك و رفقك بها لا يجب أن يجعلك ضيق الأفق ، لأنك لن تستطيع حماية نفسك إن لم تكن تعرف كيف تفعل ذلك ، ستكون الصديق الجاهل لنفسك الذي يعجّل حتفها دائما ، و تزداد بذلك ألماً لأن وضعك لم يتغير ، لا مكان يمكنك الهرب إليه ، و لا سبيل لمحو الواقع أبدا ، إن كل شيء واقع و ينتظر منك أن تضع بصمتك ، أن تغرس رمحك ، أن تبدع بحلولك ، أو على الأقل **أن تموت بشـرف !**

لا أطالبك بعدم التألم ، لأنني بذلك سأنكر صفتك الآدمية إن طلبت ذلك ، لكنني أطالبك بالتفكير بصراعك لِتقف بقوة ، و تتألق بِبسالة أفكارك ، بجنون حلولك و نجاحها ، السعي وراء تحقيق مبادئك بتجلٍ ، فالسعي وراء نزوات النفس حياة رخيسة جدا !

إن الخسائر هي الشيء الذي لا بد منه ، تيقّن ذلك دائماً ، لكن عليك أن تنتظر من الله العوض دائماً ، ستخسر الكثير في هذه الحياة و بكل تقبل إرضَ ، لكن لا ترضى بخسارة

نفسك . إن خسارة الإنسان لنفسه هي الخطيئة التي لا تغتفر ، أو بالأحرى تغتفر بالبحث عنها ، لا تبحث بعيدا ، إنها في أعماقك تسبح ، إهدئ قليلا لتراها ، فالسرعة معمية في كثير من الأحيان .

إن الأشياء التي تعتبرها خسائرا ، لم تولد بها ، بل إكتسبتها مع تعاقب الزمن ، أي أنها ليست إلا وسيلة دفع لتحصل على قوة إضافية ، تلك القوة التي تكتسبها جرّاء التخلي عن الشيء في الوقت المناسب ، و المكان المناسب ، أي أنها ليست خسائرا كما تظن .

إن الخسائر الحقيقة هي فقدانك لذاتك التي ولدت بها ، نقائك الذي تنبض به ، و حبك الطاهر الذي يحركك لكل خير ، لا شيء يستحق دفعك بها لتحصل عليه ، فحتى القوة التي تكسبها مقابل الدفع بنفسك ثمنا ، ليست في الحقيقة إلا ضعفا محضًا !

أي أنك في الحقيقة تملك ما تخسره دائمًا ... !

فاقد الشيء لا يعطيه !

إن الإنسان المسالم بطبعه ، محب للمساعدة ، لعله يسعى دائما لأن ينير ما حوله ، أن يقوّم ما يعوجّ أمامه ، يريد أن يرى العالم الذي يعمه السلام ، العالم الذي لطالما جعلتنا أفلام الكرتون نحلم به ، إنه لا يريد رؤية دموع أحد ، و لا نحيب ضعيف أمامه ، أو حتى رؤية الإنهزام في عين أحد ،فإنسانيته و ديانته تحثه على المساعدة دائما ، تجعله يشعر بنخوة تحرّكُه ، إن رؤية هذه الصفات في شخص ما لأمر رائع حقا ، لكن بداية دربه دائما تصطدم بعائق جذري عليه تجاوزه ، أو بالأحرى رفع الحاجز معه و المضي به إلى أبعد نقطة يستطيع .

إن القيم الإنسانية المغروسة في كل منا لا تكفي لنستطيع نشرها و بذرها أينما حللنا ، فالإرادة لا تكفي لنفعل ما نريده حقا ، كما ان حبك لما تريد فعله لا يعني أنك ستفعله ، كل هذه مجرد بذور بناء ، لأن الأمر ببساطة يحتاج لأن تغرسها **بقوتك** !

إن أكبر ما يصبو إليه الإنسان في كل لحظة من عمره أن يكون قويا ، إنه يسعى ليكون أقوى ، يبحث عن مكامن تفجير قوته ، تضخيم حساسيته بكل ما حوله ، إن إكتساب القوة عادة يكون مؤلما ، لأنه ينتج من طعنة لم تقتلك ، أو خيبة تفادت وريدك ، لكن القوة التي يصبو إليها تخوله لفعل ما يريده بعد توفيق الله له ، لأن الأمر ببساطة ينطلق من مقوله : فاقد الشيء لا يعطيه !

القوة شيء لا حد له ، ماهيته تكمن في أنه يجبرنا على السعي المستمر خلفه دون أن ندرك قمته ، إنه حاجز نحمله معنا و نتقدم به ، نضعه أمامنا متى توقفنا عن السعي و المضي ، أي أن التحدي الذي علينا خوضه في هذه الحياة لا يكمن في إدراك قمة القوة ، لأنها لا حد لها ، و لكن كل ما علينا أن نرقع الحاجز الذي أمامنا و نمضي به إلى أبعد ما نستطيع ،

تلك هي الغاية الجميلة التي عليك أن تسعى لها في هذه الحياة ، و الأجمل منها أن تجعلها وسيلة لتحقيق قيمك النبيلة .

لعلك تلاحظ عزيزي القارئ أنني أستخدم مصطلح النبل كثيرا ، ليس لتعصبي أو تشدقي ، و إنما لأبرز لك أن العيش دون مبادئ ما هي إلا عيشة بهائمية !

إن جعل القوة التي تكتسبها وسيلة لنشر قيمك الإنسانية أمر لا توصف روعته ، و لن تبلغ غايته ، لأن الكثير من الأشياء في هذه الحياة تكمن في أنك تسير في الطريق دون أن تصل ، فالوصول للسلام المحض أمر مستحيل تماما ، لا أقول ذلك بلسان منهزم ، لكن الخير و الشر من سنن الحياة ، و بوجودهما يتحقق التوازن ، لكن السعي هو الشرف الذي يناله صاحبه ، و يكسب الأجر إن هو إحتسب نيته لله ، و كل ما يجب عليه هو الحصول على القوة الممكنة ، فليس مهمّا أن تكون بجانب أحدهم ، بل المهم أن تكون قادرا على المساعدة ! أن تملك القوة و الحل المناسب و تقوده له متى استشكل ذلك عليه !

بالإنطلاق من المقولة المنتشرة : (فاقد الشيء لا يعطيه) ، فإننا نجد أنفسنا أمام مهمة البحث عن إمتلاك ما يأهلنا لنكون أهلا للعطاء ، نجد أننا مجبرين على تحمل ألم التجربة دون دعم لنكون نحن الدعم ، نجد أننا مجبرين على إجتياز الأدغال لنكون دليلا يبعد الجميع عن التيه ، نجد أننا مجبرون على تجاوز البحر لننتظر على الضفة الأخرى و نرشدهم على طريق النجاة ، نجد أننا يجب أن نبحث عن القوة لنعكسها على من حولنا بكل حكمة .

إن العطاء أمر نبيل يرتقي ليكون عبادة و فناً ، فهو يكسبنا الأجر بمجرد إخلاصنا لله ، كما أنه فن لتختار من تنقذ و كيف تنقذه ، فكما يقول إيتالو كالفينو* في ختام كتابه بعد أن وصف الحياة بالجحيم : **(هناك طريقتان للتخلص من معاناته ، الأولى و هي سهلة للكثيرين**

: أن تقبل بالجحيم و تصبح جزء منه حتى لا تعود تراه ، الثانية خطرة جدا و تتطلب اليقظة و الحذر : أن تفتش و تعرف كيف تتعرف على من و ما ليسوا جحيما في خضم الجحيم ، ثم أبق عليهم ، أعطهم فضاءً !) . أعتقد أن الأمر إتضح لك الآن ، فكلامه به نوع من الدعوة للحياة بإنسانية رغم نظرته السوداوية للحياة ، فهو يدعو إلى مساعدة من يستحق المساعدة حقا ، يدعو لأن نساعد من يحارب لأجل مبادئه و كيانه النقي ، و لكنه قبل ذلك ركّز جيدا على ضرورة قوتنا بوصفه لمساعدة هؤلاء بالمهمة الخطرة و ذِكر ما تتطلبه، إنها الخطوة الأكثر خطورة و الأشد إلحاحا .

عزيزي القارئ ، الأمر لم يعد صعبا الآن ، لأنك تعلم ما عليك فعله جيدا ، و كل ما عليك أن تنطلق فقط |!

الخاتمة

لطالما كان التفكير هو مخرجنا من كل مشكلة ، و قد ركزت في كتابي على التفكير السليم الخالي من الوهم و الفاقه لحقيقة الأشياء و لبها ، و هذا لأن التفكير بكل بساطة هو نحن ، أتمنى أن تكون حروفي قد لاقت إعجابك أو أفادتك بشيء و لو بسيط .

تحياتي

الفهرس

أيها العالم القاحل .. أردت إخبارك و تذكيرك أنني لا زلت أنوي إخراجك من بؤسك اللامنتهي ، من سلسلة الحزن المتتالية و التي لا نهاية لها ، أدرك جيدا انك لا تعرف كيف سأفعل ذلك ، و تواصل تخبطك الطائش الذي لن يزيدك إلا إرهاقا ، التخبط إن كان مركزا فإنه مركز على شيء واحد فقط ، و هذا سبب فشلك ، أما النجاة فإنها تكون بمنظومة متكاملة ، لذا إن كنت تريد مساعدتي : لا أطالبك بمحاولة تقليدي ، ولا إسكات ضجيج العالم ، بل أطالبك بشيء واحد ، و هو أن تكرر خلفي ، أوصل صداي ، إحمله أينما إستطعت ، و ألقه على أطراف العالم الفسيح ، أكرر : **أوصل صداي !**